

حركات لم نألفها

بقلم: ريمة الخاني

أحست بحركات غير طبيعِيَّة في هذا المكان الهادئ والجميل..
غدت تلك الحركات والخربشات تتكرَّر بإيقاع غريب ورتيب
جدًّا.. كانت قريبة وخفيَّة. يقترب الصَّوت ببطء بشكل يثير
الحفيظة، وكأنَّه بات في أذنيها.. أهي في وهم وهلوسة؟ ورغم ما
تملكه من شجاعة أثارت الأصوات الغريبة ريتها، كأنَّها كانت
تزداد علوا وقربا.

بات من الضَّروري إنهاء مهمتها الرُّوتينية الآن وبسرعة؛ لكي تبدأ
من جديد تبشير المهمَّة التَّالية.

كأنَّ أحدا يدقُّ مسمارا في الجدار، أو ربَّما يدقُّ ثوما في هذا
العصر القائظ، ثوم كثير للمؤونة. يا للعجب! كان رتوبا بشكل
مزعج للغاية.. يجعلك نزقا رغما عنك، وكأنَّك في سجن انفرادي
مقيت، يقطع عليك هدوءك وسكينتك التي تريد أن تعمَّ في هذا
المكان، في عصر يوم مختلف كلِّ الاختلاف بالنسبة لها على

الأقل. إنه يوم غريب جدًا.. بات يتحرّك صوبها.
كأنّه وحش متخفّ بمائة رداء ورياء.. يقترب ويقترب، وكأنّه كائن
غريب يريد شيئاً ما بعناد. مازالت ترتّب المكان متوجّسة وناظرة
بحذر تجاه المصدر. بدأت تسرع كي تنهي ما لديها من أعمال
بعد أن ترك تلاميذ الفوج الأول حاجاتهم وبقايا أغراضهم
المتنوعة، والتي كانت كلّ مرّة تحفظها على أمل أن تردها لهم حين
عودتهم. والغريب في الأمر، أنّها أنهكت تماما وهي تعلّمهم أصول
ترك مجالس العلم برويّة وهدوء ونظام، لكنّ الفوضى تسري
كاهشيم في تلك النفوس الطفوليّة والدّنب ليس ذنبها، فهي
تعشق التّرتيب، لكنّ الظروف تخالفها دوما.. هدا الصّوت فجأة،
فتنقّست الصّعداء، وعادت لهدوئها ترتّب من جديد، وتنظّف
قدر ما تستطيع.. حينذاك تذكّرت مقولة والدها التي تثير
ضحكها دائما:

- مئة زبال لن يستطيعوا جمع مخلّفات فوضويّ واحد.
نطمع بجهد كلّ عنصر نشيط، ولا نقوم بأدنى تعاون لمؤازرته بل
نقول بسخرية:

- متطوّع يبحث عن ثواب.

استغربت ما دار في ذهنها، وكأنّ أحدا ما يهمس لها: ما هذه الفكرة الهوجاء؟ هل هناك من يرفض الإصلاح؟ هي تتوهم مؤكّداً. دقّ الباب، فظهر مشرف المسجد متلقّفاً بأرجاء المكان.

- هل انتهيتم؟

لم تفصح عن وحدتها وقالت:

نعم ومنتظر الفوج الجديد

- حسنا دعوا هذا المتاع لديكم..

ما إن أغلق الباب حتّى عاد الصّوت قويّاً مدويّاً مزعجاً وعنيداً.

كيف نسيت أن تسأله عن هذا الأمر الغريب؟ أم أنّ عجلته

أجمتها؟

فتحت كلّ الجوارير بحركة جنوبيّة، وكأنّ صبرها العنيد ضاع، وذرتّه

رياح المشاغبة.. وبدأت تتوجّس خيفة من إصرار الصّوت على

إزعاجها.

تمتّ أن لا يأتي أحد هذا اليوم!

ليس هذا هو جوّ السّكينة والهدوء الذي يصلح للدراسة. هل هم

الجيران الذين يجهلون عناءهم والعبء الذي يحملونه؟ وكأنّ الأمر

بات مقصودا.!

بدأ الماء يتسرّب من بين النوافذ والأبواب.. فتحت الباب لتنادي

من يسمع.. ربّ أحد ما قريب من هنا.

عادت لتجد نفسها محاصرة تماما.

صرخت بأعلى صوتها، لكنّ أحدا لم يسمعها...